الجزء (13)

قصة ابني آدم

قصص القرآن والسنة

دروس وعبر

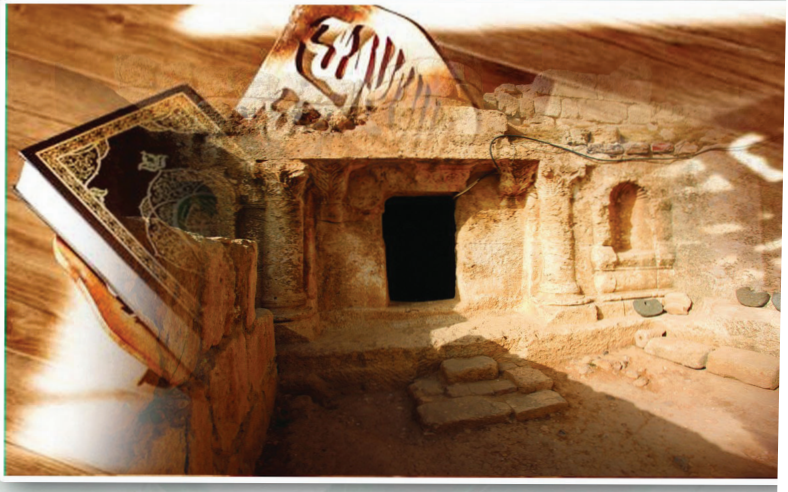

الشيخ الدكتور
أبو عبدالرحمن سمير بن أحمد الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من قصص القرآن والسنة

قصة ابني آدم عليه السلام

دروس وعبر - الجزء الثالث عشر

كتبه الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

مؤسسة القلم
لتحقيق التراث والبحث العلمي

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٦هـ

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فمِن عظيمِ فضلِ اللهِ على هذه الأمةِ أنْ بعثَ فيهم رسولًا منهم يتلو عليهِم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمُهم الكتابَ والسُّنة، ومن وسائلِ

التربيةِ والتعليمِ التي شرعَها اللهُ في الكتاب والسُّنةِ التربيةُ والتعليمُ بالقصةِ؛ لأَخْذِ العِبْرةِ والفوائدِ والدروسِ منها، ومن هذه القصصِ التي علَّمَنا اللهُ إيَّاها في القرآنِ قصةُ ابني آدمَ عليه السلام، وتلك القصةُ العجيبةُ حقيقيَّةُ الوقوعِ والثبوتِ، وقد قتَلَ فيها الأخُ أخاه من أبيه وأمِّه بسببِ الحسدِ، ومن أعظمِ ما اشتملت عليه هذه القصةُ بيانُ شؤمِ الحسدِ، وكيف يوصلُ الحاسدَ للكفرِ والقتلِ وقطيعةِ الرَّحِمِ والبُهتانِ وفعلِ جميعِ الموبقاتِ!

وفيها بيانُ عِظَمِ جريمةِ القتلِ العمدِ؛ إذْ إنَّها أبشعُ جريمةٍ تقعُ على النفسِ البشريةِ، وأنَّ مَن سَنَّ سُنةً سيئةً فعلَيهِ وزرُها ووزرُ مَن عمِل بها إلى يومِ القيامةِ من غيرِ أن ينقُصَ من أوزارِهم شيءٌ.

وفيها خطورةُ النفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ التي سوَّلتْ للأخِ الظالمِ قتلَ أخيه بغيرِ ذنبٍ ولا جنايةَ، وفيها بيانُ مشروعيةِ الدفنِ، وأن الإنسانَ بموتِه يصيرُ عورةً يجبُ سترُها ودفنُها، وبيانُ مشروعيةِ تعلُّمِ الإنسانِ من الطيرِ والحيوانِ فيما ينفعُه، وبيانُ عظَمةِ الخوفِ مِن اللهِ وأنَّه الرادِعُ الوحيدُ الذي يمنعُ الإنسانَ عن معصيةِ اللهِ وظلمِ

الخلقِ، وفيها بيانُ معنى التقوى والتَّقِيِّ، وبيانُ شروطِ قبولِ العملِ عند الله، وفيها بيانُ وجوبِ تبليغِ دعوةِ اللهِ تعالى بالحقِّ الذي أنزلَه اللهُ؛ وهو الكتابُ والسُّنة بفهمِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ.

وفيها الدليلُ على أن القرآنَ كلامُ اللهِ الذى أوحاه إلى نبيِّه ومصطفاه، وأن محمدًا رسولُ الله ﷺ، كما قال الله: {تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۛ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾} [هود:٤٩]، وغيرُ ذلك من الفوائدِ وهذا ما نُلقِي عليه الضوءَ في هذه الرسالةِ المختصرةِ بمشيئةِ اللهِ تعالى، ونسألُ اللهَ التوفيقَ والسَّدادَ والقبولَ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّه ومصطفاه محمدِ بنِ عبدِ اللهِ وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين.

المبحث الأول

نص القصة من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة

قال تعالى: {وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢} [المائدة:٢٧-٣٢].

ومن السُّنة المطهَّرة ما رواه عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ**»[1].

[1] أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

المبحث الثاني

معاني كلمات القصة

- {واتلُ عَلَيهِم}: اقرأ عليهم.

- {نبأَ ابنَيْ آدَمَ}؛ أي: خبرَ ولدَينِ من أبناءِ آدمَ عليه السلام من صُلْبِه.

- {بِالحَقِّ}: بالصِّدقِ الذي لا كَذِبَ فيه.

- {قُربَانًا}؛ أي: عمَلًا صالحًا يتقرَّبون به إلى اللهِ تعالى.

- {بَسَطتَّ إِلَيَّ يَدَكَ}؛ أي: مَددتَّ يدَك إليَّ بالضربِ أو القتلِ أو الأذى.

- {تَبُوءَ بِإِثمِي وَإِثمِكَ}؛ أي: تحمِلَ وِزرَ قتلِي مع بقيةِ أوزارِك الأُخرى.

- {فَطَوَّعَتْ لَه نَفْسُهُ}؛ أي: سَوَّلَت له نفسُه وزيَّنَتْ له ذلك، وسَهَّلَتْه عليه.

- {غُرابًا يبحَثُ في الأرضِ}؛ أي: يحفرُ ويثيرُ الترابَ؛ لِيستُرَ ويوارِيَ جسدَ أخيه الميتِ.

- {يَا وَيْلَتَى}؛ أي: يا حسرتى، وهي كلمةٌ تقولُها العربُ عند الخسارةِ والهلاكِ.

- {فأَصْبَحَ منَ النادِمين}: أي: ندِمَ على أنه لم يستطِعْ دفنَ جُثَّةِ أخيه إلا بعدَ أن رأى الغرابَ، فأصبَحَ مِن النادِمينَ المحسورينَ من غيرِ توبةٍ.

- {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ}؛ أي: بسببِ هذه الجريمة.

- {كَتَبْنا عَلَى بَنِي إِسرَائِيلَ}: قضَيْنا وحكَمْنا بحُرمةِ القتلِ العمدِ وشِبهِ العَمْدِ، وخصَّ بني إسرائيلَ بالذِّكرِ؛ لأنهم أكثرُ الناسِ استحلالًا لِلدِّماءِ.

- {ومَنْ أَحْيَاهَا}؛ أي: مَن لم يتعَرَّضْ لها بالأذَى والإهلاك.

المبحث الثالث

المعنى الإجمالي للقصة

أمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ أن يقُصَّ على الناسِ خبرَ ابنَيْ آدمَ لصُلبِه، وقد اشتَهرَ عند الناس أن اسمَ أحدهما قابيل والآخر هابيل، ولم يَرِد نصٌّ بذلك في القرآنِ ولا في السُّنة، علاوةً على أنَّ ذِكرَ الأسماءِ لا يُفيدُ، ولذلك لم يذكُرْها اللهُ في هذه القصَّة.

أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ أن يقُصَّ علينا قصةَ ابنَيْ آدمَ بالحقِّ والصدقِ الذي لا كذِبَ فيه ولا خيالَ ولا هزلَ؛ إذ إن كلَّ واحدٍ منهما تقرَّب إلى اللهِ تعالى بعملٍ كالصدقةِ ونحوِ ذلك، وأكثرُ العلماءِ على أنَّ كلًّا منهما تقرَّب إلى اللهِ بصدقةٍ من مالِه، وكانت علامةُ قَبولِ القُربانِ أن تنزِلَ نارٌ من السماءِ فتأكُلَه، كما ورد في قولِه تعالى: {ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣} [آل عمران:١٨٣].

فتقبَّلَ اللهُ من أحدِهما ببركةِ إخلاصِه وتقواهُ وإصابتِه للعملِ الصالحِ الموافِقِ لشرعِ اللهِ تعالى.

ولم يتقبَّلْ من الآخَرِ؛ لأن عملَه كان مشوبًا بما يُفسِدُه، كعدمِ الإخلاصِ أو عدمِ موافقةِ الشرعِ؛ لأن العملَ لا يُقبَلُ عندَ اللهِ إلا إذا كان صوابًا؛ أي: مأخوذًا من نصوصِ الشريعةِ موافِقًا لها، وخالصًا للهِ تعالى، ليس فيه رياءٌ ولا سُمعةٌ ولا طلبُ دنيا.

فنزغَ الشيطانُ في قلبِ الأخِ الذي لم يُقبَلْ عملُه بالحسدِ على أخيه الذي فضَّلَه اللهُ عليه، فقال لأخيه التَّقيِّ الصالحِ: لأقتلنَّك.

فرَدَّ عليه أخوه الصالحُ بقوله: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ}، فأيُّ ذنبٍ لي وأيُّ جنايةٍ توجِبُ لك أن تقتُلَني، فالتقوى أمرٌ إلهيٌّ مفروضٌ عليَّ وعليك وعلى جميع المكلَّفين.

فالقتلُ بغيرِ حقٍّ جنايةٌ عظيمةٌ من أكبرِ الكبائرِ، وأنا لخوفي من اللهِ لا أريدُ قتلَك، ولو أنك مدَدتَّ يدَك لتقتُلَني، ما أنا بمادٍّ يدِيَ إليك لأقتلَك؛ لأنني أخافُ اللهَ ربَّ العالمين، ليس جبنًا ولا ضعفًا مني، وإذا دار الأمرُ بين أن أكونَ قاتِلًا أو تقتلَني فإني أوثِرُ أن

تقتلَني، فتبوءَ بالوِزْرَينِ، وتتحمَّلَ وِزرَ قتلي وأوزارَك الأخرى، فتكونَ من أهلِ النارِ، وذلك جزاءُ الظالمين المجرمين العاصين للهِ ربِّ العالمين؛ ولكنَّ الأخَ المجرمَ لم تنفعْهُ الموعظةُ ولا النصيحةُ ولا التخويفُ من اللهِ تعالى، وسوَّلت له نفسُه قتلَ أخيه ابنِ أمِّه وأبيه، فقتلَه، فصار من الخاسرين للدنيا والآخرة، وقد سَنَّ للبشرِ سُنَّةً سيئةً عليه وزرُها ووزرُ مَنْ عمِل بها إلى يومِ القيامةِ من غيرِ أن ينقُصَ من أوزارِهم شيءٌ، ألا وهي جريمةُ القتلِ ظُلمًا وعدوانًا.

فلمَّا قتل أخاه لم يدرِ كيف يصنع بجُثَّتِه؛ لأنه أولُ مَن مات مِن بني آدمَ، ولم يعرِفْ كيف يُدارِي جثمانَ أخيه الميتِ.

وهنا شرَعَ اللهُ الدَّفنَ لُطفًا منه بخلقِه، وسترةً منه لهم، وصونًا لحُرُماتِهم وعَوْراتِهم، وإخفاءً لِنَتْنِهم وزهومتِهم بعد موتِهم.

فبعَثَ اللهُ غرابًا حيًّا وآخرَ ميتًا لِيُرِيَ القاتلَ كيف يدفِنُ أخاه، فظلَّ الغرابُ يحفِرُ في الأرضِ؛ ليدفِنَ الغرابَ الميتَ؛ وليعلِّمَ ابنَ آدمَ كيف يُوارِي جثمانَ أخيه الميتِ المقتولِ وكيف يستُرُ عورتَه

بالدفنِ الذي شرَعَه اللهُ؛ لأن الميتَ بموتِه يصيرُ جسدُه عورةً يجبُ أن تُستَرَ وأن تُوارَي.

فقال القاتلُ متحسِّرًا نادمًا حيثُ لا ينفعُ الندمُ: {يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ}؛ أي: ندِمَ ندمَ حسرةٍ، لا ندمَ توبةٍ.

من أجلِ هذه الجريمةِ البَشِعةِ- وهي قتلُ ابنِ آدمَ لأخيه- كتبنا وشرَعْنا في جميعِ الكتب السماويةِ ورسالاتِ الرسلِ والأنبياءِ أنه مَن قتلَ نفسًا بغيرِ حقٍّ أو فسادٍ في الأرضِ فكأنما قتلَ الناسَ جميعًا؛ لِعِظَمِ وشَناعةِ هذه الجريمةِ.

أما القتلُ قصاصًا أو بسببِ الإفسادِ في الأرضِ فهذا جائزٌ ومشروعٌ بضوابطِه، ولقد أرسَلَ اللهُ الرُّسُلَ بالعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ والحُجَجِ والبراهينِ التي تأمرُهُم بكلِّ خيرٍ، وتنهاهم عن كلِّ شرٍّ؛ ولكنَّ كثيرًا من الناسِ مُسرِفون في المعاصي ومخالفةِ هَدي الأنبياءِ والمرسلين، كما قال تعالى: {وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣} [يوسف:١٠٣]، وقال: {وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣} [سبأ:١٣].

المبحث الرابع

الدروس والفوائد المستفادة من قصة ابني آدم

اشتملت هذه القصةُ على مجموعةٍ من الدروسِ والعِبَرِ التي تنفعُ الناسَ في دينِهم ودنياهم وأُخراهم، نذكُرُ منها ما يأتي:

١ـ وجوبُ تبليغِ دعوةِ اللهِ تعالى إلى المُكَلَّفين، وكلٌّ حسَبَ استطاعَتِه؛ لقولِ اللهِ تعالى: {وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ}؛ أي: بَلِّغْهُم وأخبِرْهُم بما أمرَكَ اللهُ تعالى.

وقال اللهُ لنبيِّه ﷺ: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾} [المائدة:٦٧]، وقال: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ}، وقال سبحانه: {ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾} [النحل:١٢٥]، وقال: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾} [فصلت:٣٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»[١].

٢ـ أنَّ الذي يدعو إلى اللهِ ويعلِّمُ الناسَ كبيرَهم وصغيرَهم لا بدَّ له أن يدعُوَهم ويُعلِّمَهم ويُربِّيهِم بالحقِّ الذي أنزَلَه اللهُ في كتابِه وسُنَّةِ رسولِه ﷺ، لا يُعلِّمُهم بقصصٍ خياليةٍ وهميةٍ أو بالإسرائيلياتِ أو بالكذِبِ على اللهِ ورسولِه ﷺ، قال تعالي: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾} [العنكبوت:٥١].

فالحقُّ الذي لا شكَّ فيه ولا كذبَ ولا خيالَ هو كتابُ اللهِ وسنةِ رسولِه ﷺ.

قال النبيُّ ﷺ: «**فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتابُ اللهِ، وأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمدٍ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ**»[٢]، فلا يجوزُ تعليمُ الناسِ بقصصٍ خياليةٍ ولا بأحاديثَ مكذوبةٍ أو ضعيفةٍ، ففي القرآنِ

---

[١] أخرجه البخاري (٣٤٦١).

[٢] صحيح الجامع (١٣٥٣).

والسُّنةِ الصحيحةِ وقصصِهما ومواعظِهما وأوامرِهما ونواهيهما غُنْيةٌ عن الأخبارِ الضعيفةِ والموضوعةِ.

٣- يجب على المسلمِ أن يتقرَّبَ إلى اللهِ تعالى بالفرائضِ والواجباتِ التي افترضَها اللهُ عليه، كلٌّ بحسبِ استطاعتِه؛ لقولِه تعالى: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾} [التغابن:١٦].

ولقولِ النبيِّ ﷺ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[1]، ويُستَحَبُّ له أن يجتهدَ في التقرُّبِ إلى اللهِ تعالَى بنوافلِ العباداتِ.

لأنَّ ذلك طريقُ محبَّةِ اللهِ للعبدِ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي**

---

[1] أخرجه مسلم (١٣٣٧).

لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُّ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

كما يجب عليه اجتنابُ كلِّ ما حرَّم اللهُ تعالى عليه؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ**»، فاللهُ جل وعلا ما خلقَ الخلقَ إلا لِيعبُدوه بالتقرُّبِ إليه بالفرائِضِ والنوافلِ واجتنابِ المحرَّماتِ والمكروهات، قال اللهُ تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات:٥٦]، وقال: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾} [الأنبياء:٢٥].

٤ـ شروطُ قبولِ الأعمالِ التي يَتقرَّبُ بها العبدُ إلى ربِّه ثلاثةٌ:

الأول: أن يكون العابدُ المتقرِّبُ مسلمًا موحِّدًا؛ لأن اللهَ لا يقبلُ العملَ من المشركين؛ لأن الشركَ محبِطٌ للأعمالِ ومخلِّدٌ في النيرانِ؛ لقولِه تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾} [الزمر:٦٥]، ولقوله: {وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾} [الأنعام:٨٨]، ولقولِه سبحانه: {إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ

---

[1] أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾} [المائدة:٧٢]، ولقولِه سبحانه: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾} [النساء:١١٦] وقال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**»[1]، وقال سبحانه: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾} [آل عمران:٨٥].

ومِن عدلِ اللهِ تعالى أن المشركَ لو عمِلَ عمَلًا طيِّبًا أعطاه اللهُ أجرَه في الدنيا، وكافأَه ووفَّاه بِسَعةٍ في الرزقِ والصحةِ وطولٍ في العمرِ والزوجةِ والولدِ والجاهِ ونحوِ ذلك.

ولكِنْ ليس له في الآخرةِ من نصيبٍ؛ لقولِه سبحانه: {مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾} [الإسراء:١٨-١٩]، وقال سبحانه: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ

---

[1] أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١).

أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾} [هود:١٥-١٦]، وقال جل شأنه: {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾} [الشورى:٢٠].

الثاني: المتابعة؛ أي: صلاحُ العملِ بكونِه مأخوذًا من كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهﷺ؛ لقولِه تعالى: {ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾} [الأعراف:٣]، ولقوله سبحانه: {لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾} [الأحزاب:٢١]، ولقول النبيِّﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[١]، وقال النبيﷺ: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٣/ ٦٩)، ومسلم (١٧١٨).

[٢] أخرجه البخاري (٦٣١، ٦٠٠٨، ٧٢٤٦).

فمن تقرَّب إلى اللهِ بعبادةٍ لم يشرَعْها اللهُ في القرآنِ ولا في السنةِ، فعملُه باطلٌ غيرُ مقبولٍ؛ بل مردودٌ عليه.

ولذلك لمَّا علِم النبيُّ ﷺ البراء بن عازب ما يقولُه قبلَ النومِ قال: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**». قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «**لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»[1]، فنهاه النبيُّ ﷺ وأمره أن يلزمَ اللفظَ الذي علَّمَه إياه في ذِكرِه لربِّه بدونِ تغييرٍ ولا زيادةٍ ولا نقصانٍ، فقال: «**ونبيِّكَ الَّذي أرسَلْتَ**».

---

[1] أخرجه البخاري (٢٤٧).

وقد ردَّ النبيُّ ﷺ على أصحابه كلَّ عبادةٍ أو حكمٍ يخالفُ هديَه وحكمَه، ومن ذلك:

ـ ما ورد في قصةِ الشبابِ الثلاثةِ المجتهدين في العبادةِ الذين سألوا عن عبادةِ رسولِ الله ﷺ وكأنَّهم تقالُّوها، فقال النبي ﷺ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)].

ـ وفي قصةِ أبي إسرائيلَ الذي نذر للهِ أن يقفَ في الشمسِ طولَ اليومِ، ولا يتكلمَ، ولا يجلسَ، ويظلَّ صائمًا، فأنكر عليه النبيُّ ﷺ وقال: «**مُرُوهُ فَلْيَجْلِسْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَصُمْ**»[(٢)]، فنهاه النبيُّ ﷺ أن يتعبَّدَ للهِ ويتقربَ إليه بتعذيبِ النفسِ بالوقوفِ طولَ اليومِ وعدمِ الجلوسِ وعدمِ الاستظلالِ من الشمسِ وعدمِ الكلامِ مع الناسِ في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢٢٤٢).

المعروفِ، وأقرَّه فقط على الصيامِ؛ لأنَّه عبادةٌ مشروعةٌ بالكتابِ والسُّنةِ.

ـ في حجةِ الوداعِ لمَّا رأى رجلًا يُهادَي بين رجلينِ، فسأل عنه، فقالوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللهِ. فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا لِنَفْسِهِ**»، **ثُمَّ أَمَرَهُ فَرَكِبَ**[1]. فاللهُ لم يتعبَّدَنا بتعذيبِ النفسِ.

ـ ولما جاء للنبيِّ ﷺ خَصمانِ في قضيةِ العَسيفِ الذي زنى بزوجةِ مؤجِّره، وأخبروه أن الناسَ حكموا على الزاني بأن يدفعَ لزوجِ الزانيةِ مِئةَ شاةٍ ووليدةً، فقال النبيُّ ﷺ: «**لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، أَمَّا الوَلِيدَةُ وَالغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِئَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ لِرَجُلٍ فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَارْجُمْهَا**»، **فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا**[2].

فديننُا دينُ اتباعٍ لا دينُ هوًى وابتداعٍ، فالدينُ كتابٌ وسنةٌ بفهمِ أصحابِ النبيِّ ﷺ.

---

[1] مصنف ابن ابي شيبة (١٢٤١٣).

[2] أخرجه البخاري (٢٦٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثالث: الإخلاص؛ فلو أن العاملَ العابدَ مسلمٌ وعملُه صالحٌ موافقٌ للكتابِ والسُّنةِ؛ لكنَّ نِيَّتَه غيرُ خالصةٍ لله، وشابَها الرياءُ أو السُّمْعةُ أو طلبُ الدنيا؛ فعملُه باطلٌ مردودٌ غيرُ مقبولٍ؛ لأن الإخلاصَ هو سِرُّ قبولِ العملِ الصالحِ من المسلمين الموحِّدين؛ لقولِ اللهِ تعالى: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ۝٥} [البينة:٥]، وقال سبحانه: {قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢} [الزمر:١١-١٢]، وقال: {قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤} [الزمر:١٤]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1].

قال اللهُ سبحانه وتعالى: {فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠} [الكهف:١١٠].

ـ وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ أنَّ المسلمَ الذي يعملُ العملَ الصالحَ ولم يُخلِصْ فيه سيكونُ أولَ مَن تُسَعَّرُ بهمُ النارَ يومَ القيامةِ؛ لحديثِ

---

[1] أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

أبي هريرةَ أن النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ؛ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ؛ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

---

[1] أخرجه مسلم (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧).

وذُكر في آخر تلك الروايةِ عند: «أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

٥- المُتَّقون الذين يُحِبُّهمُ اللهُ ويقبلُ عملَهم هم المؤمنون العاملون الصالحاتِ المخلصون؛ لأن اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلا ما أخلصَ له وابتُغِيَ به وجهُه، فالتقوى هي الطاعةُ والإخلاصُ والورعُ والخشيةُ من اللهِ تعالى بامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه.

---

[١] الترمذي (٢٧٧٨).

٦ـ شؤمُ الحسدِ وخطورتُه على الفردِ والمجتمعِ:

فالحسدُ أصلُ كلِّ شرٍّ، قال النبيُّ ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا**»[١].

الحسدُ يكونُ على النِّعمِ الدينيةِ والدنيويةِ، قال تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ} [النساء:٥٤].

والحسدُ هو تمنِّي زوالِ النعمةِ عن المحسودِ، وهو كراهةُ الخيرِ للمحسودِ، وقد نهى عنه النبيُّ ﷺ فقال: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»[٢]؛ وذلك لأن الحسَدَ شرٌّ كلُّه، فقد حمل ابنَ آدمَ الأولَ على قتل أخيه من أمِّه وأبيه، وحملَ إبليسَ على أن يُفضِّلَ النارَ على الجنةِ، والشقاوةَ على السعادةِ، والضلالةَ على الهدى، والكفرَ على الإيمانِ، لمَّا أمرَه اللهُ بالسجودِ لآدمَ أبى

---

[١] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨١٥٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب (٢٨٨٧).

[٢] أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

واستكبرَ، وكان من الكافرين، وقال: {ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾} [الإسراء:٦١]، وقال: {أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾} [الأعراف:١٢]، وقال: {قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾} [الإسراء:٦٢].

والحسدُ صفةُ اليهودِ و النصارى، وقد حمَلَهم على الكفرِ بالنبيِّ محمدٍ ﷺ والكفرِ القرآنِ، وحملهم على عداوةِ هذه الأمةِ وقتالِها، ومحاولةِ رِدَّتِها عن دينِها، قال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾} [البقرة:١٠٩]، وقال سبحانه: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾} [البقرة:٢١٧]، وقال تعالى: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴿١٢٠﴾} [البقرة:١٢٠]، فالحسدُ حمَلَهم على

الكفرِ باللهِ ورسولِه وكتابِه، وعلى تفضيلِ الضلالةِ والنارِ على الهدايةِ والجنةِ.

بل إن الحسدَ حملَ الأبناءَ الصالحين أبناءَ النبيِّ الصالحِ يعقوبَ عليه السلام على أن يفكروا في قتلِ أخيهم، وأن يُلقُوه في غياباتِ الجُبِّ، وأن يُباعُ عبدًا رخيصًا بثمَنٍ بخسٍ دراهمَ معدودةٍ، وأن يُسجنَ بعد تعرُّضِه لفتنةِ النساءِ، وحملهم الحسدُ كذلك على الكذِبِ وعقوقِ الوالدِ والإضرارِ به، وعلى الغِشِّ والخديعةِ.

قال تعالى: {۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ

وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾} [يوسف:٧-١٨].

بل إن الحسَدَ حملَ قريشًا وأهلَ مكةَ على التكذيبِ بالنبيِّ محمدٍ ﷺ والقرآنِ والإسلامِ، ومعاداةِ اللهِ ورسولِه ودينِه، مع يقينِهم بصدقِ محمدٍ وأمانتِه وصحةِ دينِه ورسالتِه.

قال الله تعالى عنهم: {وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾} [الزخرف:٣١-٣٢].

وهكذا يفعلُ الحسدُ بأهلِه، يُهلِكُ الحَرثَ والنَّسلَ، يُدمِّرُ الدِّينَ والفَردَ والمجتمعَ، ويورِثُ الذلَّ والخسرانَ في الدنيا والآخِرة.

فقد حمل ابنَ آدمَ هنا في هذه القصةِ على قتلِ أخيه، وعلى أن يكونَ أولَ مَن سَنَّ القتلَ، فعليه وِزرُه وأوزارُ كلِّ مَن قُتِل ظُلمًا بعدَه، ولذلك أمر اللهُ تعالى بالتعوُّذِ مِن شرِّ الحاسدِ إذا حسدَ، فقال سبحانه: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥} [الفلق:١-٥].

الحسدُ يورثُ البغضاءَ التي تَحلِقُ الدِّينَ وتُفسِدُه، قال النبيُّ ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ: هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ؛ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- أَوْ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1].

---

[1] أخرجه أحمد (١٤٣٠)، والترمذي (٢٥١٠)، وحسَّنه الألباني.

٧ـ الخوفُ من الله تعالى هو الرادِعُ الوحيدُ الذي يَرْدَعُ العبدَ عن ارتكابِ الذنوبِ والمعاصي، وهذا واضحٌ من قصةِ ابنَيْ آدمَ حيثُ قال الولدُ الصالحُ لأخيه المُجرِمِ: {لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾} [المائدة:٢٨]؛ أي: مع قدرتي عليك وعلى قتلِك؛ ولكن يمنَعُني عن ذلك مَخَافَتي من اللهِ الذي حرَّم القتلَ والظلمَ والعُدوانَ.

الخوفُ من اللهِ تعالى المقترنُ بالمحبةِ والتعظيمِ والتذللِ والخشوعِ والخضوعِ للهِ تعالى هو الذي يحملُ العبدَ على الطاعةِ واجتنابِ المعصيةِ، وهذا واجبٌ على كلِّ مسلمٍ في حقِّ اللهِ تعالى، قال سبحانه: {فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾} [آل عمران:١٧٥]، وقال سبحانه: {وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾} [البقرة:٤٠]، وقال تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴿٢٨﴾} [آل عمران:٢٨].

وقد أثنى اللهُ على الذين يخافون اللهَ، فقال: {وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} [الرحمن:٤٦]، وقال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم

بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾} [الملك:١٢]، وقال سبحانه: {إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾} [المؤمنون:٥٧-٦١].

قالت عائشة رضي الله عنها: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: {وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾} [المؤمنون:٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ؛ وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا تُقْبَلَ مِنْهُمْ**، {أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾} [المؤمنون:٦١][1].

وقال سبحانه وتعالى في حقِّ الأبرارِ الذين يخافون اللهَ مُخلصِين له: {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ

---

[1] أخرجه الترمذي (٣١٧٥)، وصححه الألباني.

جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۞ ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾} [الإنسان: ١٠-٢١].

والخوفُ من اللهِ أعظمُ أسبابِ الأمنِ يومَ القيامةِ؛ لقولِه تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

[1] أخرجه المبارك في الزهد (١٥٧)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٧٤٢).

وقال النبيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[١].

والخوف من الله من أعظمِ أسبابِ المغفرةِ؛ فهذا الرجلُ الذي لم يعملْ خيرًا قطُّ لما حضرته الوفاةُ جمع أولادَه وقال: أيَّ أبٍ كنتُ؟ قالوا: كنتَ خيرَ أبٍ. قال: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا. قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ - أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ - فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

[٢] أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٦).

٨ـ شؤم السُّنة السَّيِّئة على صاحبها وعلى الناس:

السنة السيئة تُجرِّئُ على المعصية، فيفعلُها الناسُ تِباعًا لمَن بدأَها أولَ مرةٍ، فعليه وِزرُها ووِزرُ مَن عمِل بها إلى يومِ القيامة من غيرِ أن ينقصَ من أوزارِهم شيءٌ.

وكذلك الابتداعُ في الدين، فمنِ ابتدعَ بدعةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عمِل بها إلى يومِ القيامةِ من غيرِ أن ينقُصَ من أوزارِهم شيءٌ.

قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[1].

وابنُ آدمَ الأولُ في هذه القصةِ الذي قتلَ أخاه، هو أولُ مَن سَنَّ جريمةَ القتلِ، فاقتدى مَن بعدَه به فعليه وزرُه ومثلُ أوزارِ مَن تَبِعوه من غيرِ أن ينقصَ من أوزارِهم شيءٌ، قال النبيُّ ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ**

---

[1] أخرجه مسلم (١٠١٧).

ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ».

وفي هذا أعظمُ التحذيرِ لأئمةِ الشرِّ والفسادِ في كلِّ بابٍ، سواءٌ في بابِ الابتداعِ في الدينِ، أو في باب نشرِ الفُجورِ والإلحادِ والإباحيةِ والزندقةِ، فنسألَ اللهَ السلامةَ والمعافاةَ!

٨ـ بيان عقوبة المعاصي، وأنها يولِّدُ بعضُها بعضًا، فمن آثار المعصيةِ أنها تُجرِّئُ على غيرِها، فابنُ آدمَ تهاونَ في قربانِه بمعصيةٍ كانت سببًا في عدمِ قبولِ عملِه، والذي كان سببًا في حسَدِه أخاه، والحسدُ كان سببًا في ارتكابِه لجنايةِ قتلِه لأخيه وسفكِ دمِه، وكان عاقبةُ كلِّ ذلك أنْ أصبحَ من الخاسرين الآثمين، يحمِلُ وزرَه ووِزرَ مَن يُقتَلُ مِن بعدِه ظلمًا.

٩ـ تعظيمُ حرمةِ الدماء:

أعظمُ وأبشعُ جريمةٍ تُرتكَبُ في حقِّ الإنسانِ هي إزهاقُ رُوحِه بقتلِه، ولذلك قال اللهُ تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩} [النساء:٢٩]، ففيها النهيُ عن قتلِ الإنسانِ نفسَه، أو قتلِ غيرَه.

وقال تعالى: {وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥} [البقرة:١٩٥]، وقال سبحانه في بيان بشاعةِ جريمةِ القتلِ وجزاءِ القاتلِ المُتعَمِّدِ: {وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣} [النساء:٩٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[(١)].

عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يَأْتِي الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا رَأْسُهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، مُتَلَبِّبًا قَاتِلَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا،**

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ الْعَرْشَ، فَيَقُولُ الْمَقْتُولُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ: هَذَا قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ، وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ»[١].

وقال النبيُّ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»[٢]، ومِن تعظيمِ اللهِ لهذه الجنايةِ أنه جعلَ عقوبةَ القاتلِ المتعَمِّدِ القصاصَ، فإن رضيَ أولياءُ الدمِ بالعفوِ عن القصاصِ وقَبِلوا الدِّيَةَ فهي دِيَةٌ مغلَّظةٌ: مِئةُ ناقةٍ منها: أربعون خِلفةً عشارًا، أولادُها في بطونِها، وكذلك لهم العفوُ عن الدِّيةِ أيضًا.

١٠ـ أدبُ المسلمِ في الفتنةِ بعدمِ المشاركةِ في سفكِ الدماءِ وعدمِ حَملِ السلاحِ: فعن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه أنه سألَ النبيَّ ﷺ عن القتالِ في الفتنةِ بين المسلمين، فقال: يا رسولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «كُنْ

---

[١] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٢١٧)، والكبير (١٠٧٤٢).

[٢] أخرجه البخاري (٦٨٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كَابْنَيْ آدَمَ»، وَتَلَا يَزِيدُ: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ...} [المائدة: ٢٨] الآيَةَ[(١)].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟». قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «تَعَفَّفْ». قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ شَدِيدٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْعَبْدِ- يَعْنِي: الْقَبْرَ- كَيْفَ تَصْنَعُ؟». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «اصْبِرْ». قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا- يَعْنِي: حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدِّمَاءِ- كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ». قَالَ: فَإِنْ لَمْ أُتْرَكْ؟ قَالَ: «فَأْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ، فَكُنْ فِيهِمْ». قَالَ: فَآخُذُ سِلَاحِي؟ قَالَ: «إِذَنْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٧)، وصححه الألباني.

تُشَارِكَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ»[1].

وهذا محمولٌ على ترك القتال عند الفتنة، وكفِّ اليد عند الشُّبهة، كما قاله القرطبيُّ وغيره، وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ- يَعْنِي- عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»[2].

وأما مَن أراد التعدِّي على النفسِ أو المالِ أو العِرضِ في غيرِ قتالِ الفتنة، فللمسلمِ عدمُ التسليمِ له؛ بل يدفعُ عن نفسِه بكلِّ قوةٍ حتى ولو قَتَل الصائلَ المعتدِي؛ لما رواه مسلمٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ

---

[1] أخرجه أحمد (٢١٣٢٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٦٨٥).

[2] أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وصححه الألباني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»[١]، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[٢].

١١ـ الأفضليةُ والقبولُ عند اللهِ بالتقوى والعملِ الصالحِ: قال الله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴿١٣﴾} [الحجرات:١٣]، وقال النبي ﷺ: «**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ**»[٣].

ولذلك قال ابنُ آدمَ الصالحُ لأخيه الفاسدِ: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ}.

١٢ـ تشريعُ العقوبةِ لتلافي الجريمة:

---

[١] أخرجه مسلم (١٤٠).

[٢] أخرجه أحمد (١٦٥٢)، والترمذي (١٤٢١)، وصححه الألباني.

[٣] أخرجه أحمد (٢٣٤٨٩)، والطبراني في الأوسط (٤٧٤٩).

فبعد أن ذكرَ اللهُ تعالى هذه القصةَ بما فيها من الجنايةِ العظمى بسببِ الحسدِ، قال سبحانه: {مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾} [المائدة:٣٢].

ومن بعدِ ذلك بيَّنَ اللهُ تعالى أنَّ الاعتداءَ على الأنفسِ من الإفسادِ في الأرضِ الذي يحتاجُ إلى عقوبةٍ رادعةٍ، فقال سبحانه: {إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾} [المائدة:٣٣]؛ وذلك لأن الشريعةَ قائمةٌ على صيانةِ مصالحِ العبادِ بالمحافظةِ على الضروراتِ الستةِ: الدِّينِ، والعِرضِ، والمالِ، والعقلِ، و النفسِ، والنسلِ.

ولذلك وُضِعَت العقوباتُ الحَدِّيَّةُ الرَّادِعةُ للحفاظِ على ذلك، وشُرِعت العقوباتُ التعزيريَّةُ الأخرى حسَبَ ما يرى ولاةُ الأمورِ وقضاةُ المسلمين.

وذلك لأنَّ الانحرافَ عن الشريعةِ يورثُ اضطرابَ الأمنِ وكثرةَ الجرائمِ والفواحشِ، فمَن أمِنَ العقابَ أساءَ الأدبَ.

١٣ـ أنَّ هذا القرآنَ مِن عندِ الله سبحانه؛ لأن هذه القصةَ العريقةَ في القِدَمِ لم يكن لرسولِ اللهِ ﷺ علمٌ بها، والذي أخبرَه بها وبغيرِها من أحداثِ السابقين وقصصِهم هو اللهُ وحدَه، قال تعالى: {تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩} [هود:٤٩]، وذلك لِينتَفِعَ بها العقلاءُ بما فيها من دروسٍ وعبرٍ وعِظاتٍ.

١٤ـ الناس في كلِّ زمانٍ فيهم الصالحُ وفيهم الطالحُ، وفيهم الأبرارُ وفيهم الأشرار: كما قال سبحانه: {إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣} [الإنسان:٢-٣].

١٥ـ ندمُ الإنسانِ على ما وقعَ منه من أخطاءٍ لا يرفعُ عنه العقوبةَ؛ لأن هذا الندمَ أمرٌ طبيعيٌّ يحدُثُ لكثيرٍ من الناسِ عقِبَ ارتكابِهم الشرورَ والآثامَ، أما الندمُ الذي يرفعُ العقوبةَ عند اللهِ فهو الندمُ المقرونُ بالتوبةِ النَّصوحِ التي تحملُ صاحبَها على الاستقامةِ وعدمِ الرجوعِ إلى الذنبِ، والتأسُّفِ والندمِ على ما فرَّطَ في جنبِ اللهِ، ورَدِّ المظالمِ لأهلِها.

١٦ـ لا يجوزُ تفسيرُ القرآنِ العظيمِ اليقينيِّ الثبوتِ بأخبارِ بني إسرائيلَ المشكوكِ في صِحَّتِها، فقد وردت إسرائيلياتٌ في هذه القصةِ لا نعتبرُها، ولا نعوِّلُ عليها، ومنها:

١ـ تسميةُ أبناءِ آدمَ في القصةِ بقابيلَ وهابيلَ: لم يرِدْ به نصٌّ في شرعِنا، وذكرُ الأسماءِ لا يُقدِّمُ ولا يؤخِّرُ في شيءٍ، ولذا لم يذكُرْها القرآنُ.

٢ـ القولُ بأن القاتلَ والمقتولَ في هذه القصةِ رجلانِ من بني إسرائيلَ من بني آدمَ غيرُ صحيحٍ؛ لأن ظاهرَ القرآنِ والسُّنةِ يَدُلَّانِ على أن هذه القصةَ قديمةٌ في أبناءِ آدمَ الأوائلِ؛ إذْ كان هذا القتيلُ

هو أولَ ميِّتٍ من البشرِ؛ لذا شرعَ اللهُ الدفنَ، فهو أولُ ميتٍ، وأولُ مدفونٍ، ومن هنا أتت مشروعيةُ الدفنِ.

ويؤيد ذلك قولُ النبيِّ ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»، فقوله ﷺ: «**عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ**» دليلٌ على أنه لم يكن من بني إسرائيلَ، وإنما كان الولدَ الصُّلبيَّ لآدمَ عليه السلام، وقولُه ﷺ: «**أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**» دليلٌ على أن هذا كان في أولِ الخليقةِ.

٣ـ ما ورد في سببِ تقديمِ القربان: هل كان بأمرٍ من اللهِ لهما، أو بمبادرةِ كلٍّ منهما، أو لغيرِ ذلك، فلم يرِدْ به نصٌّ في شرعِنا، فالغايةُ أنهما قرَّبا قُربانًا فتقبَّلَ اللهُ من المخلصِ المتَّبعِ لشريعةِ اللهِ، ولم يتقبَّلْ من عديمِ الإخلاصِ والاتِّباعِ.

٤ـ القولُ بأن القاتلَ يحمِلُ أوزارَ المقتول؛ للمقولةِ الشهيرةِ: (ما ترك القاتل على المقتول ذنبًا): مقولةٌ لا أصلَ لها من الصحة؛ لأن اللهَ يقول: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}.

وأما معنى قولِه تعالى: {أَن تَبُوَأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ}؛ أي: تتحمَّلَ وِزرَ قتلي وأوزارَك الأخرى التي عمِلْتَها في حياتك.

٥ـ طريقةُ قتلِ القاتلِ للمقتولِ: هل كانت بصخرةٍ أم بحديدةٍ أم بغيرِ ذلك، لم يرِدْ في شرعِنا تفصيلُه، ولا يَعنينا ولا يهمُّنا، ولذلك سكت شرعُنا عن بيانِه.

١٧ـ من عقوبات المعاصي في الدنيا الحسرةُ والندامةُ والمرارةُ التي تكونُ في نفسِ العاصي بعدَ ارتكابِه المعصيةَ أو الجريمةَ بالغمِّ والهمِّ والحُزنِ.

والسؤال هنا: لماذا لم يُدافِعِ ابنُ آدمَ الصالحُ عن نفسِه تُجاهَ أخيه؟

والجواب: هناك أربعةُ احتمالاتٍ:

الأول: أنه لم يرَ أخاه حين همَّ بقتلِه، وكان الكلامُ مجردَ تهديدٍ في أولِ الأمرِ، فلم تكن هناك مواجهةٌ؛ ليتمكَّنَ من الدفاعِ عن نفسِه.

الثاني: أن معنى قولِه تعالى: {مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ}؛ أي: لا أبسُطُ يديَ إليك بغرضِ القتلِ، وإنما للدفعِ فقط، وهذا الدفعُ يكون بالأيسرِ، فإذا لم تندفعْ إلا بالقتلِ قتلتُك، وهذا مشروعٌ باتفاقِ العلماءِ، وقد وردت به السُّنةُ كما في حديثِ أبي هريرةَ ﷺ في دفعِ الصائلِ الذي يريدُ سَرِقةَ المالِ.

الثالث: قال بعضُ العلماء: إن أراد أن يستسلمَ جاز له، ذلك كما فعل عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ في قتال الفتنةِ لمَّا حاصَرَه الخوارِجُ، منع ﷺ الصحابةَ من القتالِ، ولم يقاتلْ حتى قتلَه الخوارجُ، واستدلُّوا بحديثِ القتالِ في الفتنةِ بين المسلمين، كحديث أبي ذرٍّ ﷺ الذي مضى ذكرُه وحديثِ محمدِ بنِ مسلمةَ: أن النبيَّ ﷺ قال له: «**أَلْقِ كُمَّكَ عَلَى وَجْهِكَ وَكُنْ عَبْدَ الله الْمَقْتُولَ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ الله الْقَاتِلَ**»[1].

فعثمانُ ﷺ فدى الأمةَ بدمِه، واستسلمَ للقتلِ، ونهى أصحابَه عن القتلِ دفعًا للشرِّ والفتنةِ الكبرى والعظمى بالضررِ الأقلِّ، وهذا

---

[1] تفسير الرازي (١١/ ٣٣٩).

ما فعلَه ابنُ آدمَ الأولُ؛ لِوَرَعِه وتقواهُ، وخوفًا من عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قال رسولُ ﷺ: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[1].

الرابع: أنه كان في شريعتِهم جوازُ الاستسلامِ للقاتلِ وعدمُ الدفاعِ عن النفسِ؛ لقولِه: {إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩} [المائدة:٢٩]؛ أي: إذا كنتُ أنا بين اثنين: قاتلٍ أو مقتولٍ، فأختارُ أن تقتُلَني فتبوءَ بالوزرِ فتكونَ من أصحابِ النارِ، وذلك جزاءُ الظالمين.

١٨ـ مشروعيةُ دفنِ الموتى كانت مِن بدايةِ من هذهِ القصةِ:

بعث اللهُ غرابًا يبحثُ في الأرضِ؛ ليُرِيَه كيف يُواري سوءةَ أخيه، قيل: إن الغرابَ كان ينبُشُ في الأرضِ؛ ليُواري سوءةَ ابنِ آدمَ، وقيل: إن غرابًا قتلَ غرابًا ثم نبَشَ ليُوارِيَه، فتعلَّمَ منه القاتلُ كيف يوارِي ويدفِنُ أخاه، ويسترُه في باطنِ الأرضِ.

---

[1] أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) واللفظ للبخاري.

١٨ـ الإنسان إذا مات صار جميعُ الجسدِ عورةً يجبُ سترُها،

إلا مَن ماتَ وهو مُحرِمٌ من الرجالِ، فلا يُغطَّى رأسُه، كما ورد في الحديثِ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تُمِسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»[(١)].

فتغطيةُ جميعِ الميتِ وسترُه واجبٌ بمجردِ موتِه، ولما قُتِل مصعبُ بنُ عميرٍ رضي الله عنه في غزوةِ أُحُدٍ لم يجدوا ما يُكَفَّنُ فيه إلا ثوبًا قصيرًا، إذا غطُّوا رأسَه ظهرت رجليه، واذا غطَّوْا رجلَيْه انكشف وجهُه، فقال النبيُّ ﷺ: «**غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلِهِ الإِذْخِرَ**»[(٢)].

وهذا يدلُّ على خطأ الإخوةِ الفلسطينيين عند دفنِ الذين نحسُبُهم من الشهداءِ عند اللهِ تعالى الذين قُتِلوا برصاصِ ومدافعِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥١)، ومسلم (١٢٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٧).

اليهودِ الملاعين، يكشفون وجوهَهم ولا يغطُّونها في أثناءِ تشييعِ الجنازةِ والدفن، وهذا خلافُ السُّنة، ولا يُشرَعُ ذلك إلا في حقِّ الرجلِ المُحرِمِ الذي ماتَ مُحرِمًا.

١٩ـ مشروعيَّة الاستفادة من الطيرِ والحيوانِ فيما ينفع الإنسانَ: فقد استفاد ابنُ آدمَ الأولُ الذي قتلَ أخاه، واستفدنا جميعًا من الغرابِ كيفيةَ دفنِ مَن مات مِنا، وكيف نواري سوءَتَه، فالحكمةُ ضالَّةُ المؤمنِ، أنى وجدَها الْتَقطَها.

فمع كونِ الغرابِ أحدَ الفواسقِ الخمسِ المضرَّةِ بالإنسانِ، والمأمور بقتلِها في الحِلِّ والحرمِ على لسانِ رسولِ اللهِ ﷺ، ومع ذلك استَفَدْنا منه فائدةً عظيمةً، وقد أشارَ اللهُ جلَّ وعلا في القرآنِ والسُّنةِ إلى كثيرٍ من المنافعِ التي نستفيدُها من هذه الكائنات، فقد ذكرَ اللهُ الهدهدَ في قصتِه مع نبيِّ اللهِ سليمانَ عليه السلام، واستفدنا منه الغَيْرةَ على التوحيدِ والجِدَّ والاجتهادَ في القيامِ بالأعمالِ المَنوطةِ بِنا على الوجهِ الأكملِ.

وذكَرَ اللهُ تعالى النملَ والنملةَ الملكةَ التي ترعى رعِيَّتَها، وتخافُ عليها، وتقودُها بما ينفعُها، وأنَّها أمَّةٌ تُسَبِّحُ كما أخبر النبيُّ ﷺ كيف تدبِّرُ معيشتَها وتخزُنُ الطعامَ وتقي أمَّتَها ما يُهلِكُها ويضرُّها!

وذكَرَ اللهُ النحلَ؛ تلك الأمَّةَ المنظمةَ في معيشتِها وعملِها ونتاجِها الطيبِ الذي جعله اللهُ شفاءً للناسِ، وذكرَ الخيلَ والحَميرَ والبِغالَ لِما فيها من منافعَ للإنسانِ، ويتعلمُ منها الإنسانُ تنفيذَ أوامرِ اللهِ تعالى، وتحمُّلَ المسؤوليةِ والمشقَّةِ في تحصيلِ المطلوبِ ودفعِ المرهوب.

وذكر سبحانه وتعالى الإبلَ وما في خَلقِها من الآياتِ البَيِّناتِ الدالةِ على عظيمِ قُدرةِ اللهِ في خلقِه، وما فيها من المنافعِ التي ينتفعُ بها الإنسانُ ويتعلمُ منها، كالصبرِ وتحمُّلِ المشاقِّ والطاعةِ للهِ تعالى وغيرِ ذلك كما ورد في القرآنِ والسُّنة.

٢٠ـ {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا}: فمَن حافظَ على دماءِ الناسِ وخاف اللهَ من جريمةِ القتلِ داخلٌ في الآية، ومَن دفع دِيَةَ قتيلِ العمدِ ليَفدِيَ ويُحييَ القاتلَ الذي كان سيُقتَصُّ منه فقد أحياها، ومَن قام بإسعافِ المرضى بالتنفسِ الصناعيِّ والصدقاتِ والصدماتِ الكهربائيةِ التي تُنعِشُ القلبَ وغيرِ ذلك من الإسعافاتِ فقد أحياها، وكلُّ مَن كان سببًا في نجاةِ غيرِه من الموتِ والهلاكِ فقد أحياها.

وكذلك مَن أنقذَ مصابًا وذهب به إلى المستشفى، والأطباءُ الذين يقومون على خِدمةِ المرضى كذلك.

٢١ـ النهي عن كلِّ وسيلةٍ تؤدِّي إلى القتلِ: فقد جاءت الشريعةُ بسدِّ كلِّ ذريعةٍ تؤدي الى ما حرَّمَ اللهُ تعالى، ومن ذلك قولُ النبيِّ ﷺ: «**لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**»[1]، وقال ﷺ: «مَنْ

---

[1] أخرجه البخاري (٧٠٧٢).

أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»[١].

٢٢ـ خطورةُ النفسِ الأمَّارةِ بالسُّوء:

قال تعالى حكايةً عن امرأةِ العزيزِ: {إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣} [يوسف:٥٣]، فابنُ آدمَ الأولُ انساقَ وراءَ نفسِه الأمَّارةِ بالسوءِ، فطوَّعت له نفسُه قتلَ أخيه فقتلَه فأصبحَ من الخاسرين النادمين الآثمين.

ولذلك أمر اللهُ بتزكيةِ النفسِ بالإيمانِ باللهِ وبالعلمِ النافعِ والعملِ الصالح، قال سبحانه وتعالى: {وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠} [الشمس:٧-١٠]، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ»[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٦١٦).

[٢] أخرجه مسلم (١٢٧).

٢٣ـ النَّدم ندمان:

الأول: ندمٌ يقودُ إلى التوبةِ النَّصوحِ بالإقلاعِ عن الذنبِ، والعزمِ على عدمِ العودةِ له ورجاءِ المغفرةِ والعفوِ من اللهِ وصلاحِ الحالِ، وهذا الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»[1].

الثاني: ندمُ العاجزِ الفاشلِ الخاسرِ المذمومِ، وهو ندمُ الحسرةِ والندامةِ والخسرانِ الذي لا يفيدُ ولا يُجدِي إلا الهمَّ والغمَّ والحُزنَ.

هذا ما تيسَّرَ ذِكرُه، وآخِر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلِّم!

آمينَ آمينَ!

---

[1] أخرجه أحمد (٣٥٦٨)، وابن ماجه (٤٢٥٢)، وصححه الألباني.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: نص القصة من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة	٦
المبحث الثاني: معاني كلماتِ القصة	٨
المبحث الثالث: المعنى الإجمالي للقصة	١٠
المبحث الرابع: الدروس والفوائد المستفادة من قصة ابني آدم	١٤
أنَّ الذي يدعو إلى اللهِ ويعلِّمُ الناسَ كبيرَهم وصغيرَهم لا بدَّ له أن يدعُوَهم ويُعلِّمَهم ويُربِّيهِم بالحقِّ الذي أنزَلَه اللهُ	١٥
يجب على المسلمِ أن يتقرَّبَ إلى اللهِ تعالى بالفرائضِ والواجباتِ التي افترضَها اللهُ عليه	١٦
شروطُ قبولِ الأعمالِ التي يَتقرَّبُ بها العبدُ إلى ربِّه ثلاثةٌ	١٧
المُتَّقون الذين يُحِبُّهمُ اللهُ ويقبلُ عملَهم هم المؤمنون العاملون الصالحاتِ المخلصون	٢٥
شؤمُ الحسدِ وخطورتُه على الفردِ والمجتمعِ	٢٦
الخوفُ من الله تعالى هو الرادِعُ الوحيدُ الذي يَردَعُ العبدَ عن ارتكابِ الذنوبِ والمعاصي	٣١
شؤم السُّنة السَّيِّئة على صاحبها وعلى الناس	٣٥

بيان عقوبة المعاصي، وأنها يولِّدُ بعضُها بعضًا	٣٦
تعظيمُ حرمةِ الدماء	٣٧
أدبُ المسلمِ في الفتنةِ بعدمِ المشاركةِ في سفكِ الدماءِ	٣٨
الأفضليةُ والقبولُ عند اللهِ بالتقوى والعملِ الصالحِ	٤١
تشريعُ العقوبةِ لتلافي الجريمة	٤١
أنَّ هذا القرآنَ مِن عندِ الله سبحانه	٤٣
الناس في كلِّ زمانٍ فيهم الصالحُ وفيهم الطالحُ	٤٣
ندمُ الإنسانِ على ما وقعَ منه من أخطاءٍ لا يرفعُ عنه العقوبةَ	٤٣
لا يجوزُ تفسيرُ القرآنِ العظيمِ اليقينيِّ الثبوتِ بأخبارِ بني إسرائيلَ المشكوكِ في صِحَّتِها	٤٤
من عقوبات المعاصي في الدنيا: الحسرةُ والندامةُ	٤٦
مشروعيةُ دفنِ الموتى كانت مِن بدايةِ من هذهِ القصةِ	٤٨
الإنسان إذا مات صار جميعُ الجسدِ عورةً يجبُ سترُها	٤٩
مشروعية الاستفادة من الطيرِ والحيوانِ فيما ينفع الإنسانَ	٥٠
{وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا}	٥٢
النهي عن كلِّ وسيلةٍ تؤدِّي إلى القتلِ	٥٢
خطورةُ النفسِ الأمَّارةِ بالسُّوء	٥٣
الندم ندمان	٥٤